"محمود درويش"

شاعر الهوية والذاكرة الفلسطينية

يُعدّ محمود درويش أحد أبرز الرموز الثقافية في التاريخ الفلسطيني المعاصر، ليس بوصفه شاعراً فحسب، بل باعتباره صوتاً وطنياً عبّر عن معاناة الشعب الفلسطيني، وذاكرته، وتطلّعاته للحرية، استطاع درويش أن يحوّل الشعر إلى مساحة للمقاومة الثقافية، وأن يجعل من الكلمة أداة لحفظ الهوية في مواجهة الاقتلاع والتهميش، وقد تجاوز حضوره حدود فلسطين، ليصبح شاعراً إنسانياً عالمياً، ارتبط اسمه بقيم الحرية والعدالة والكرامة.

النشأة والصعود:

وُلد محمود درويش عام 1941في قرية **البروة** في الجليل بفلسطين، تعرّضت قريته للتدمير عام 1948، واضطرت عائلته إلى اللجوء، قبل أن تعود سراً إلى الأراضي الفلسطينية التي أصبحت تحت السيطرة الإسرائيلية، شكّلت تجربة اللجوء والعودة القسرية أساساً مركزياً في وعيه الشعري والوطني، تلقى تعليمه داخل فلسطين، وبدأ بكتابة الشعر في سن مبكرة، متأثراً بالواقع السياسي والاجتماعي الذي عاشه الفلسطينيون داخل الخط الأخضر.

الصعود الأدبي والوطني:

برز محمود درويش في ستينيات القرن العشرين كشاعر مقاومة، خاصة من خلال قصائده الأولى التي عبّرت عن الرفض والتمسّك بالأرض والهوية، انخرط في العمل الثقافي والسياسي، وتعرّض للاعتقال والإقامة الجبرية بسبب نشاطه وكتاباته.

لاحقاً، غادر فلسطين وتنقّل بين عدة عواصم عربية وعالمية، ما أتاح له توسيع أفقه الشعري، والانتقال من شعر المقاومة المباشر إلى شعر أكثر رمزية وعمقاً فلسفياً، دون أن يتخلى عن جوهر القضية الفلسطينية.

الإنجازات:

ترك محمود درويش إرثاً شعرياً غنياً، من أبرز إنجازاته:

- إصدار عشرات الدواوين الشعرية، مثل: أوراق الزيتون، عاشق من فلسطين، أحد عشر كوكباً، لماذا تركت الحصان وحيداً.
- تطوير الشعر العربي الحديث من حيث اللغة والبنية والرمز.
- رئاسة تحرير مجلة الكرمل، التي شكّلت منبراً ثقافياً عربياً مهماً.
- تمثيل القضية الفلسطينية ثقافياً في المحافل الدولية.

صفاته الإبداعية والقيادية

تميّز محمود درويش بعدة صفات جعلته قائداً ثقافياً:

- القدرة على المزج بين الذاتي والوطني.
- لغة شعرية عالية تجمع بين البساطة والعمق.
- وعي تاريخي وإنساني تجاوز حدود الجغرافيا.
- التحرر من الخطاب الشعاري مع الحفاظ على البعد الوطني.

آراء النقّاد والمؤرخين

يرى الناقد إحسان عباس أن محمود درويش نقل الشعر الفلسطيني من المباشرة الخطابية إلى فضاء جمالي وإنساني أوسع، دون أن يفقد ارتباطه بالقضية الوطنية.

ويعتبر الناقد جابر عصفور أن درويش أسّس لمرحلة جديدة في الشعر العربي الحديث، حيث تحوّل النص الشعري إلى مساحة للتأمل الفلسفي في الهوية والمنفى والوجود.

أما عز الدين المناصرة، فيرى أن محمود درويش هو أبرز شعراء فلسطين، وأن تجربته تمثل تطوراً نوعياً في شعر المقاومة، إذ تجاوزت البعد السياسي المباشر إلى بعد إنساني كوني.

كما تشير دراسات صادرة عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية إلى أن محمود درويش أدّى دوراً محورياً في تثبيت الرواية الفلسطينية ثقافياً، وحماية الذاكرة الجماعية من النسيان.

الإرث الثقافي

يتمثل إرث محمود درويش في:

- ترسيخ الشعر كأداة مقاومة ثقافية.
- حفظ الذاكرة الفلسطينية عبر الكلمة.

- تطوير اللغة الشعرية العربية الحديثة.
- إلهام أجيال من الشعراء والمثقفين.

ولا يزال شعره حاضراً في الوعي الجمعي الفلسطيني والعربي، يُتداول في المدارس والجامعات، ويُقرأ في المناسبات الوطنية والإنسانية.

الوفاة

توفي الشاعر الفلسطيني **محمود درويش** يوم **9 آب / أغسطس 2008**، عن عمر 67 عاماً، في مدينة هيوستن بولاية تكساس في الولايات المتحدة، وذلك بعد خضوعه لعملية جراحية في القلب.

تم نقل جثمانه لاحقاً إلى مدينة رام الله، حيث دُفن هناك وسط تشييع شعبي واسع، وأُعلن الحداد عليه في فلسطين تقديراً لمكانته كأحد أبرز الشعراء الفلسطينيين والعرب.

الخاتمة

يُجسّد محمود درويش نموذج المثقف الملتزم الذي استطاع أن يحوّل معاناة شعبه إلى نص إنساني خالد، لم يكن شاعراً لفلسطين فقط، بل شاعراً للحرية والوجود الإنساني، ومن خلال تجربته الشعرية، أثبت أن الكلمة يُمكن أن تكون شكلًا من أشكال المقاومة، وأن الثقافة ركيزة أساسية في معركة الحفاظ على الهوية.

المراجع

- درويش، محمود. (1999). لماذا تركت الحصان وحيداً. بيروت: دار رياض الريس.
- عباس، إحسان. (1981). اتجاهات الشعر العربي المعاصر. بيروت: دار الشروق.
- عصفور، جابر. (1998). زمن الرواية. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- المناصرة، عز الدين. (2003). الشعر الفلسطيني: تجارب ورؤى. عمّان: دار مجدلاوي.
- مؤسسة الدراسات الفلسطينية. (2005). محمود درويش: دراسات وشهادات. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية.

دائرة المناهج والبحث العلمي

هيئة التدريب العسكري لقوى الأمن